

سلسلة أمراء البيت الحرام من الهاشميين: ال الشريف حسن بن عجلان ابن رميثة بن أبي نمي

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

السيد الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، محمد بن أبي سعد حسن ابن علي بن قتادة؛ البدر أبو المعالي الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من أمراء مكة^(٢).

وتكرر منه ذلك مرة بعد أخرى، وكان يقال له في كل مرة: (لسنا نثق في أمر مكة إلا بك وإن أردت ذلك فاستنب أنت من شئت)، وياشر خدمة المحمل الشريف^(٣).

عاصره المؤرخ ابن تغري بردي المتوفى سنة ٨١٢هـ، وفي كتابه المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي^(٤) قال عنه: (قال الشريف تقي الدين الفاسي في تاريخه^(٥): "ولي حسن بن عجلان هذا إمرة مكة من غير شريك إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر

ولد الحسن بن عجلان في مكة المشرفة سنة خمس وسبعين وسبعمائة هجرية (٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م) ونشأ فيها في كفالة أخيه أحمد، فتربى في بيت علم، حتى صار عالماً فاضلاً، وأجاز له جماعة من مصر والشام حدث عنهم حديث النبي ﷺ، وكان فيه خير كثير، واحتمال وحياء ومروءة عظيمة، وصدقات وصلات، ولي إمرة مكة، وساس الأمور بذكاء، واستمر في نمو وزيادة وهيبة في القلوب، ولما كبر اعتذر عن إمرة مكة؛ لضعف بدنه، ورغبته في التفرغ للعبادة،

وستة أيام، ووليها سنة وسبعة أشهر شريكاً لابنه السيد بركات، وهو الساعي له في ذلك، وولي نيابة السلطنة سبع سنين إلا شهراً وأياماً، وولي ابنه السيد أحمد عوضه نصف الأمر الذي كان بيده قبل أن يلي نيابة السلطنة؛ فمدة ولايته مكة أميراً ونائباً للسلطنة عشرون سنة وثلاثة أشهر إلا أربعة أيام" انتهى كلام الفاسي، قلت^(٦): واستمر في إمرة مكة إلى أن وقع منه ما أوجب غيظ الملك الأشرف برسباي^(٧) عليه وعزله.. كان الشريف حسن هذا من أجل أمراء مكة ممن أدركنا، سوّداً، وكرماً، وسياسة، وعقلاً، وأثرى، وكثر ماله، وعقاره، ووقع له ما لم يقع لغيره من أمراء مكة، فإنه أضيف إليه في بعض السنين إمرة المدينة النبوية، وإمرة ينبع مضافاً لإمرة مكة) انتهى كلام ابن تغري بردي.

حصل خلاف بينه وبين الأمير موسى ابن أحمد بن موسى الحرامي أمير بلدة "حلي" من بلاد اليمن، والذي ينسب إلى بني حرام، ولما توجه القاضي شرف الدين إسماعيل بن محمد بن أبي بكر العذري، الشهير بابن المقرّي إلى الحج من زييد في سنة ثمان وثمانمائة اجتاز بالأمير موسى ابن الحرامي ببلدة حلي ابن يعقوب فرغب الأمير موسى للقاضي شرف الدين

إسماعيل المذكور أن يسعى في الصلح بينه وبين الشريف حسن بن عجلان؛ فالتزم له القاضي شرف الدين بن المقرّي المذكور بذلك، وسار حتى وصل إلى مكة، وأخذ في إنشاء قصيدة يمدح بها الشريف حسن ويوصيه ويسأله الرضى عن الأمير موسى صاحب حلي وأكثرها حكماً؛ ومنها^(٨):

أحسنْتَ في تدييرِ ملكِكَ يا حسنَ

وأجَدْتَ في تحليلِ أخلاطِ الفتَنِ

ما كنتَ بالنزقِ العجُولِ إلى الأذى

عند النزاعِ ولا الضعيفِ أبا الوهنِ

داءُ الرياسةِ في متابعَةِ الهوى

ودواؤُها في الدفعِ بالوجهِ الحسنِ

وإذا الفتى استقصَى لنصرةِ نفسه

قلْبَ الصديقِ لحربه ظَهَرَ المجَنُ

لا تُصنعِ إن شراً دعا فالشرُّ إن

تنهَضَ له يَنهَضُ وإن تسكُنَ سَكَنَ

وسديد رأيٍ لا يُحرِّكُ فتنةً

سَكَنَتْ وإن حَرَكْتَهُ الفِتَنُ اطمأنَّ

رَدَّ العدوَّ إلى الصداقةِ حكمةً

صَفَتْ من الأكدارِ عيشَ ذوي الفِطَنِ

بالسيفِ والإحسانِ تُقَتِّلُ العِلا

وحصولُها بهما جميعاً مرتَهَنَ

فاغمد سيوفك رغبة لا رهبة

ما في قتيل فرّ مرعوباً سمن

وأكرم سيوفك من دما طرداتها

فالحُرُّ يكرم سيفه أن يمتَهَنَ

قد كان لا يرضى يخطط سيفه

في ظهر مَنْ وَلَّى أبوك أبو الحسن

جئنا بحسن الظن نسألك الرضا

والعفو عنه فلا تخيب فيك ظن

فالحُرُّ يكرم سائليه يرى لهم

فضلاً كما ابتدءوه بالظن الحسن

وبهين سائله اللئيم لظنه

في مثله خيراً وذلك لا يُظَن

لا زلت للشرف المخلد بانياً

شرفاً ومجداً ثابتاً لبني حسن

ولما تم إنشادها أنعم عليه الشريف

حسن المذكور بثلاثين ألف درهم بعد أن

أجابه لسؤاله من الرضى عن الأمير موسى

صاحب الحلبي، واستمر الصلح بينهما إلى

أن ماتا، رحمهما الله تعالى.

أدركه الأجل؛ فمرض أياماً، ومات في

يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة

سنة تسع وعشرين وثمانمائة، ودفن بجوار

تربة الملك الأشرف برسبائي، وحضر

السلطان الصلاة عليه، وتأسف عليه.

قتل أخوه الشريف علي بن عجلان سنة

سبع وتسعين وسبعمائة ٧٩٧هـ، وكان أخوه

الشريف حسن معتقلاً، فلما وصل الخبر

بوفاة أخيه علي بن عجلان أطلقه الملك

الظاهر برقوق^(٩) وفوض إليه أمر مكة،

سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ٧٩٨هـ، ولم

تتم السنة حتى وقع بين الشريف حسن

وقتلة أخيه على واقعة عظيمة، وكان

الظفر فيها له عليهم، فضبط البلاد

وحسم مواد الفساد، واستمر مستقلاً

بالولاية إلى أن أشرك معه ابنه السيد

بركات في نصف الإمرة وذلك سنة تسع

وثمانمائة ٨٠٩هـ، ثم سعى لابنه السيد

شهاب الدين أحمد في نصف الإمارة

فأجيب إلى ذلك، وولى نصف الإمرة

شريكاً لأخيه بركات، وولى أبوهما نيابة

السلطنة بجميع بلاد الحجاز، وذلك في

ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة

٨١١هـ، وصار يُدعى له ولولديه بمكة

وعلى زمزم، ويُدعى للشريف حسن بمفرده

في الخطبة بالمدينة النبوية.

واستمر الشريف حسن وولده إلى أن

عزل هو وولده سنة اثنتي عشرة

وثمانمائة ٨١٢هـ عن إمرة مكة؛ بسعي الحساد، ونقل أهل الفساد، ثم عادوا في تلك السنة، واستمروا كذلك إلى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ٨١٨هـ، وعزلوا بالشريف رميثة بن محمد، ثم أعيد في عام تسع عشرة وثمانمائة ٨١٩هـ، وهذا كله ببركة الصبر والتحمل والنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى في حفظ دماء المسلمين وأموالهم، لا سيما الحجاج وجيران بيت الله الحرام لا برحت عناية الله شاملة لحماة بلده الأمين أمين.

ثم في عام أربعة وعشرين وثمانمائة ٨٢٤هـ تسلطن الملك المظفر ابن الملك المؤيد، فأرسل كتاباً للشريف حسن، فقرئ بطل زمزم موضوعه أنه فوض أمر مكة إليه، وأشرك معه ولده بركات.. ولم يزل الشريف حسن مستمراً في الولاية إلى أن صرف عنها هو وولده بركات سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وكان ذلك بتفويض السلطان برسبای ملك مصر، وفي سنة ثمان وعشرين وثمانمائة أعيد إلى إمرة مكة، ثم إنه حج بالناس وأظهر طاعة السلطان برسبای، فلما وصل خبر ذلك إلى السلطان برسبای طلب حضوره إليه، فتوجه إليه؛ فلما وصل مصر أمر السلطان أن يتلقاه الأمراء والأكابر، وأن يمشوا بين

يديه، وأنعم عليه بالإنعامات المزیدة، فكتب بعض أدباء مكة إلى السلطان -على لسان مكة- يذكر أنها متشوقة إلى الشريف حسن قوله:

مِنَ الْبِلَدِ الْمُخَصَّصِ بِالْأَمَانِ

وَكَعْبَتِهِ الْمَشْرِفَةِ الْمُبَانِي

تَقْبِلُ كَفَّ سُلْطَانِ الْبِرَايَا

أَبِي النَّصْرِ الْمَوْفِقِ لِلْمَعَانِي

بِرَسْبَايَ الَّذِي مَلَكَتْ يَدَاهُ

جَمِيعَ الْخَلْقِ مِنْ قَاصٍ وَدَانِي

وَتُنْهَى مَا بَهَا مِنْ عُظْمٍ شَوْقٍ

إِلَى سُلْطَانِهَا بَدْرِ الزَّمَانِ

إِلَى أَنْ قَالَ:

فَرُدَّ إِلَى سُلْطَانِي سَرِيعاً

فَإِنِّي كَالْجَوَادِ بِلَا عَنَانٍ

فسمعها السلطان فكتب للشريف حسن

بالتوجه إلى مكة وجهزه، ومرض خارج

الديار المصرية، فاعترض له الضعف، فعاد

إلى القاهرة ومكث بها أياماً يسيرة، ثم

توفي بها سادس عشر جمادى الآخرة

سنة تسع وعشرين وثمانمائة ٨٢٩هـ، ودفن

فيها، وله وقائع مشهورة في التواريخ

مسطورة مع إخوته، وبني عمه وملوك

٣ . كسوة الكعبة التي تهدى إليها من القاهرة آنذاك.

٤ . ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ١ / ٤١٦.

٥ . العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

٦ . القائل هو ابن تغري بردي.

٧ . الأشرف برسباي المتوفى ٨٤١ هـ = ١٤٣٨ م.

٨ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢ / ٤١٩ .

٩ . برقوق بن أنص المتوفى سنة ٨٠١ هـ = ١٣٩٨ م.

١٠ . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢ / ٤١٧ .

مصر والقواد وغيرهم، وكان ذا ثروة عظيمة، وحشمة وافرة جسيمة، وخيرات كثيرة عميمة^(١٠).

الهوامش:

١ . نسبته لغاية (قتادة) في المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨١٣ هـ ج ١ / ص ٤١٦، ولغاية (مطاعن) نسبه السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م في الضوء اللامع ٢ / ٤٣.

٢ . ترجمته في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣ / ٣٥١، والضوء اللامع للسخاوي ٥ / ٤٦٠، الأعلام للزركلي ٢ / ١٩٨.

